

التَّارِيخُ: ١٨ نوفمبر ٢٠٢٢ م - ٢٣ ربيع الآخر ١٤٤٤ هـ.

الْمَوْضُوعُ: حِفْظُ اللِّسَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أذى وَاللَّهُ عِنْدِي حَلِيمٌ^١ وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ^٢ أَدْعُو اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْلِبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ السَّلَامَ وَالصِّحَّةَ وَالْبَرَكَاتِ لِجَمِيعِ أَفْرَادِ الْأُسْرَةِ الْبَشَرِيَّةِ.

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ!

إِنَّ الْقُدْرَةَ عَلَى الْكَلَامِ، أَيْ اللِّسَانَ، هُوَ أَحَدُ السَّمَاتِ الَّتِي يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ بَشَرًا، وَيُجَمِّلُ الْإِنْسَانَ وَيَجْعَلُهُ قِيمَةً وَيُمَيِّزُهُ عَنِ الْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ الْأُخْرَى. وَلَمْ يُنْعِمِ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْجَمِيلَةِ عَلَى أَيْ مَخْلُوقٍ غَيْرِ الْإِنْسَانِ. وَبِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ اللَّهَ بِلِسَانِهِ وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَيَفْتَحُ لِنَفْسِهِ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ، وَيُعْلِقُ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ. وَيَسْتِخْدَمُ اللِّسَانَ بِشَكْلِ جَيِّدٍ بِمَا يَتَوَافَقُ مَعَ مَوَاقِفِ رَبَّنَا، سَيَكُونُ مُفِيدًا أَيْضًا لِلْآخَرِينَ. مَنْ يَعْمَلُ وَيَتَكَلَّمُ بِلِسَانِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَهُوَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى سَبِيلِ رَبَّنَا، وَيُصَالِحُ الْإِسْتِيََاءَ وَيُوَحِّدُ النَّاسَ، وَتَتَبَّعَهُ لِذَلِكَ يَعُودُ بِالنَّفْعِ عَلَى الْحَيَاةِ الْإِجْتِمَاعِيَّةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ!

وَبِالِإِضَافَةِ إِلَى جَمَالِ اللِّسَانِ هَذَا، هُنَاكَ أَيْضًا عُيُوبٌ نَاتَجَتْ عَنْ سُوءِ اسْتِخْدَامِهِ. يُمَكِّنُ لِأَيِّ شَخْصٍ أَنْ يَفْقِدَ الْجَمَالَ الَّذِي اكْتَسَبَهُ مِنْ خِلَالِ قِضَاءِ الْوَقْتِ وَالْجُهْدِ مَعَ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ السَّيِّئَةِ. مَا مِنْ خَيْرٍ يُمَكِّنُ أَنْ تَكْسِبَهُ مِنَ الْكُذِبِ، وَالِافْتِرَاءِ، وَالْغَيْبَةِ وَالتَّجْدِيفِ. هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي نَحْسِبُهَا لَيْسَتْ مُفِيدَةً لَنَا، وَلَكِنَّهَا صَارَةٌ. وَقَدْ أَشَارَ الْقُرْآنُ إِلَى أَهْمِيَّةِ الْكَلِمَاتِ الطَّيِّبَةِ وَالسَّيِّئَةِ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضْلَاهَا ثَابِتٌ وَقَرَعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أكلُهَا كُلَّ حِينٍ بَادِنٍ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ

وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ أُجْتِثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ^٣.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ!

اللِّسَانُ نَفْسُهُ صَغِيرٌ، لَكِنَّ عِبَادَتَهَا أَوْ تَمَرُّدَهَا عَظِيمَتَانِ، لِأَنَّ الْكُفْرَ وَالْإِيمَانَ يَنْكَشِفَانِ بِشَهَادَةِ اللِّسَانِ فَقَط. يَتِمُّ التَّعْبِيرُ عَنْ شَيْءٍ جَيِّدٍ أَوْ سَيِّئٍ عَنْ طَرِيقِ اللِّسَانِ. دَائِمًا مَا تَخْرُجُ كَلِمَاتُ الْحُبِّ وَالْكَرَاهِيَةِ فَهُوَ مِنَ اللِّسَانِ. أَسْهَلُ طَرِيقَةٍ لِكَسْبِ قُلُوبِ النَّاسِ أَوْ كَسْرِ قُلُوبِهِمْ هُوَ اللِّسَانُ. لِهَذَا السَّبَبِ طَلَبَ مِنَّا رَبُّنَا الْعَظِيمُ أَنْ نَحْفَظَ لِسَانَنَا، وَنُرِيدَ مِنَّا أَنْ تَبْتَعِدَ عَنْ كُلِّ أَنْوَاعِ السَّيِّئَاتِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنَ أَلْسِنَتِنَا، وَتَتَعَامَلُ دَائِمًا مَعَ الْخَيْرَاتِ. فَقَالَ: وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا^٤. لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا^٥. وَتَبَيَّنَا يُحَدِّثُنَا مِنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فِي أَحَادِيثِهِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ^٦. مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ^٧.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ!

عِنْدَمَا يَتِمُّ فَحْصُ رَعَبَاتِ رَبَّنَا الْقَدِيرِ فِي الْآيَاتِ وَتَبَيَّنَا الْحَبِيبِ فِي الْأَحَادِيثِ، تَرَى أَنَّ اللِّسَانَ مِنْ أَهَمِّ أَعْضَائِنَا مِنْ حَيْثُ أَدَاتُهُ، حَتَّى لَوْ كَانَ قِطْعَةً مِنَ اللَّحْمِ فِي الْمَظْهَرِ. دَعُونَا نَسْتَعْدِمُ لِسَانَنَا فِي خِدْمَةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ. دَعُونَا لَا نَنْسَى أَنَّ مِنْ أَهَمِّ وَاجِبَاتِ لِسَانِنَا هُوَ إِعْلَانُ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ لِلنَّاسِ وَدَعْوَتُهُمْ إِلَى الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ. تَتَبَّعَهُ لِذَلِكَ، لَا يَنْبَغِي أَنْ نَقُولَ أَوْ نَسْمَحَ بِنَشْرِ الْكَلِمَاتِ السَّيِّئَةِ الَّتِي لَنْ يُرَضِيَ رَبُّنَا وَالنَّاسُ، وَيَجِبُ أَنْ نَحْرِصَ عَلَى عَدَمِ التَّوَجُّدِ فِي الْأَمَاكِنِ الَّتِي يُقَالُ فِيهَا كَلَامٌ بَدِيءٌ. مَنْ لَا يُسَيِّطِرُ عَلَى لِسَانِهِ وَأَيْدِيهِ وَأَنْفُسِهِ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَوْفَ يَنْدَمُونَ بِالتَّأَكُّدِ فِي التَّهْلَاكَةِ الْوَقْفُ الْإِسْلَامِيُّ الْهُولَنْدِيُّ

^١ سورة النساء، ٤/١٤٨.

^٢ سنن الترمذی، القيامة، ٥١.

^٣ سنن الترمذی، البر، ٦٢.

^١ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، ٢/٢٦٣.

^٢ سنن الترمذی، الإيمان، ١٢.

^٣ سورة إبراهيم، ١٤/٢٤، ٢٥/٢٦.

^٤ سورة الإسراء، ١٧/٥٣.